«أف» في اللسان العربي والسياق القرآني والحديثي

"OUF" in the Arabic Language the Qur'anic and hadith contexts

عبد الصمد امزيان[1]

باحث في الدراسات الإسلامية المغرب

amezian.abdessamad@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/10/02 القبول 2021/09/21 النشر على الخط 2021/12/15
Received 02/10/2020 Accepted 21/09/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

هذه الورقة العلمية قد اتخذت من كلمة " **أف**" الفصيحة موضوعا لها، إذ تروم دراستها من جوانبها اللغوية كبيان معانيها، ولغاتها، وأوجه إعرابها، وما يرتبط بذلك، كما تسعى أيضا أن تتناول هذه الكلمة وفق السياقات القرآنية والنبوية التي وردت فيها، من تأويلها، وإبراز قراءاتها التي قرأ بها القراء المعتبرون، إلى الحديث عن دلالاتها التي وردت بها في الوحيين، والتوافق الحاصل بين المعاني اللغوية والتفسيرات القرآنية والنبوية.

الكلمات المفتاحية: -معنى" أف" – القراءات القرآنية – القرآن الكريم– السنة النبوية.

Summary :

This paper highlights the word "OUF" from different angles such as its linguistic meaning, and its morphology. The paper also highlight "OUF" on its Quranic and Haddith context. Moreover, the paper shows the compatibility between linguistic meanings and Quranic and Prophetic interpretations .

Key words : The word OUF The Quranic reading of the word F The holy Quran. The Sunnah.

[1]– المؤلف المراسل: عبد الصمد امزيان البريد الإلكتروني: **amezian.abdessamad@gmail.com**

مقـــدمـــة :

بسم الله الرحمن والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم هاديا لا عوج فيه، وسراجا منير يقتدى به، ليأخذ بأيدي المؤمنين إلى النور المبين، والصراط المستقيم، ويجنبهم الزيغ والضلال الجسيم، ومن أجل ذلك كانت لغة هذا الذكر الحكيم، بينة واضحة لمقاصد الوحي، وأغراض الرسالة، وأسرار التشريع. ولأجل تحقيق هذه الغاية بعث في خير الأمم والأنام النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، معلما، وهاديا، فقال سبحانه: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل، الآية44).

واهتم القرآن الكريم منذ بدء نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع المصطلح وضَبْطِ المفاهيم، ذلك لأن المصطلحات هي مفاتيح العلوم فالبدء بها إتيان للأمور من أبوابها. وبلا شك فالقرآن الكريم هو أصل العلوم والمعارف المتينة النافعة؛ فحُق على الباحثين والدارسين ضبط مصطلحاته وتحرير مفاهيمه لأنها أصل الاصطلاح الشرعي. وعليه فإن إشكالية هذه المقالة التي تسعى للإجابة عنها هي دراسة كلمة "**أف**" التي هي من المصطلحات القرآنية والواردة أيضا في أحاديث خير المرسلين، وفق منهجية ترمي في البداية إلى جرد معاني هذه الكلمة اللغوية، وإبراز ما يرتبط بها، ثم الحديث عن السياقات التي جاءت بها هذه اللفظة في الوحيين معا.

من أجل ذلك تروم هذه الدراسة جاهدة أن تسلط الضياء على هذا مصطلح قرآني، الذي نَدُر الوقوف عليه، وشُحت الكتابات عنه، إلا شذرات هنا وهناك متفرقة، ولزم الغوص في مظان الكتب لاستجلاء دُررها وكنوزها، ولقلة الدراسات عن كلمة "أف" فإنه هنا تبرز قيمة البحث وأهميته.

وهذه المحاولة التي هي نصب أعيننا تقتضي في منهجيتها الكشف عن معاني هذه الكلمة في اللغة العربية، وفق ما سطره أربابها وأهل لسانها، ثم النظر في سياقاتها القرآنية التي وردت فيه وما يتفرع عنها من تفسيرات وتأويلات نفيسة، ثم تقصي شواهد لها من السنة النبوية، وستكون دراستي مبنية على المحاور الآتية:

– **في معنى كلمة «أف» لغة، وبيان أوجهها** : أروم من هذا المحور بيان دلالات الكلمة لغويا، وذكر لغاتها، ثم أوجه إعرابها في اللغة العربية.

– «**أف» في السياق القرآني والحديث النبوي** : بيان معنى الكلمة وفق السياق القرآني الذي وردت فيه، ثم أبرز التوافق الحاصل بين الأوجه العربية والدلالات القرآنية، ثم الصنيع نفسه مع السنة النبوية، إذ أسوق شواهد لها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

– **خاتمـــة**: تشمل الخلاصات والنتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

في معنى كلمة «أف» لغة، وبيان أوجهها :

إن المستقرئ للقواميس اللغوية والمعاجم العربية، والواقف على دفائنها، والمتغلغل في مطاويها، يجد أن الجذر اللغوي لكلمة «أف» لا يتعدى معاني محدودة هي الضجر، والحقارة والنتانة، وما يقوم مقام هذه المعاني في المشهور منها، وهذه الاستعمالات هي الشائعة على الألسنة من غير حصر ولا قصر، وقد ترد أحيانا في سياقات أخرى بمعاني غيرها نادرة الاستعمال، وقليلة الإيراد في

الأساليب العربية، ثم إن هذه المعاني التي تستشف من كلمة « أف» وردت في السياق القرآني وفي الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بالدلالات اللغوية عينها. وفيما يلي رصد لمعاني **أف** المبثوثة في مظان اللغة المعتمدة، وتتبع لأهم ما قيل عن أوجهها، وموقع إعرابها في الجملة.

والملاحظ ابتداء شيوع كلمة **أف** عند الناس قاطبة، وذلك ليسر التلفظ بها وإيفائها بدلالاتها المرغوب فيها، بحيث شبهت بقول أحدهم: مُد ورُد[1]، وقد استخدمت عند الرعيل الأول للتأفف من الشيء، أي: استقذاره، ومع تعاقب الزمن لحق هذه اللفظة تطور تاريخي، لتنحو منحى أعم، فأطلقت على الضجر من كل فعل أو قول مستقبح، ومن ثَم كل ما يتأذى منه المرء، ثم بعد ذلك خُصت عند بعض اللغويين بأمور محددة، كاسم يقصد به الوسخ الموجود في الأذن أو الظفر تارة، وتارة أخرى اسما لآلة تقليم الأظافر وتنقيته من أفه ووسخه، وغيرها من المسميات والمعاني، وفق التفصيل التالي:

المعنى الأول: الاستقذار:

إن أول معجم منسق للغة العربية معتبر عند أهل الصنعة والفن، هو كتاب "**العين**"[2] للخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله[3]، وقد ساق في شرحه للكلمة ما كان سائدا على ألسن العرب حينئذ، فيذكر أن " الأُف والأَفَفُ: من التأفيف، تقول قد أففت فلانا، إذا قلت له: «أف»"[4]، ثم شرع بعدها في بيان أوجه لغاتها، ولم يزد عن شرح الكلمة سوى أنها من التأفف من شيء لا يقبل ولا يستساغ. ومثله قول الفراء[5]النحوي رحمه الله حكاية عن ما تقوله العرب :"جعل فلان يتأفف من ريح وجدها، إذا قال: «أف»"[6][7]، فبين بمثل ما يتأفف منه كالرائحة الكريهة، وأيضا للزجاج [8]رحمه الله مثيلته، فعنده " أن تكرار كلمة أف أف يراد بها النتن من

1- تهذيب اللغة، لمحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى، الجزء 15، الصفحة 422.

2- كتاب العين للفراهيدي ، هو أول معجم منسق للغة العربية، قام بكتابته الخليل بن أحمد الفراهيدي وأتمه ورتبه الليث بن المظفر الليثي الكناني ويعتمد في ترتيبه على مخارج الحروف من أعمق نقطة في الحلق مرورا بحركات اللسان وحتى أطراف الشفتين، وبذلك يكون أول حروفه هو العين وأخرها هو الميم، ثم تتبعهم الحروف الأخرى.

3- أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، مفرط الذكاء، ولد سنة مائة، ومات سنة بضع وستين ومائة، وثقه ابن حبان، وقيل: كان متقشفا متعبدا.(سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة 2006م، الجزء7، الصفحة 97)

4- كتاب العين ، للخليل الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول ، الصفحة 75، مادة : أفف.

5- (144هـ- 207هـ) هو أبو زكرياء يحي الأسدي الكوفي النحوي ، ولد في الكوفة، العلامة صاحب التصانيف، وصاحب الكسائي، كان يقال: " الفراء أمير المؤمنين في النحو"، وورد على ثعلبة أنه قال:" لولا الفراء لما كانت عربية، ولسقطت لأنه خلصها، ولأنها كانت تُتنازع ويدعيها كل أحد"، مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة رحمه الله.(سير أعلام النبلاء، الجزء 8، الصفحة 292/ الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، سنة 2002م، الجزء8، الصفحة 145).

6- قال ابن منظور رحمه الله :"والعرب تقول جعل فلان يتأفف من ريح وجدها، معناه يقول أف أف/ لسان العرب، لأبي الفضل بن منظور، دار صادر سنة النشر 2003 ، الحرف ألف، مادة (أ ف ف) ، الصفحة 121 و 122.

7- تفسير الإمام الفخر الرازي ، دار الفكر للطباعة ، الطبعة الأولى 1981م ، الجزء 20 الصفحة 190.

8- (241هـ- 313هـ) الإمام النحوي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، مصنف كتاب "معاني القرآن" و" الإنسان وأعضائه" و"كتاب الفرس"، وغيرها، كان من ندماء المعتضد، وأصاب في أيامه ثروة كبيرة، ومات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. (سير أعلام النبلاء، الذهبي، الجزء11، الصفحة 222/ الأعلام، للزركلي، الجزء1، الصفحة 40).

الشيء"[1]. وجاء على لسان اللغوي إسماعيل الجوهري[2] رحمه الله في صحاحه أن: أُفا له وأُفةً، أي قذرًا له، والتنوين للتنكير[3].

المعنى الثاني: الضجـر من الشيء:

من المعاني الأخرى السائدة لكلمة أف في اللغة، إلى جانب معنى الاستقذار السابق، نجد الضجر والسأم من الشيء لعلة ما، فالرجل الأفاف من الأمور الذي يمل منها ويسأم بسرعة ولا تطيب نفسه بها، وقد نقل ابن فارس[4] رحمه الله عن ابن دريد[5] رحمه الله قوله في هذا المعنى أن" أف يؤف أفا، " إذا تأفف من كرب أو ضجر، ورجل أفاف: كثير التأَفف"[6]. والناس يقولون لما يستثقلون ويسأمون منه: أُف له، "وأَصل هذا نفخك للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد، وللمكان تريد إماطة أذى عنه، فقيلت لكل مستثقل"[7].

ولعَل من الآثار الدالة على نفس المعنى، و التي يعزز القول بها في هذا الصدد، ، قولة متمم بن نويرة رحمه الله[8] حين سأله عمر عن أخيه مالك، فقال: "كان يركب الجمل الثّفال، ويقتاد الفرس البطيء، ويكتفل الرمح الْخطِل، ويلبس الشملة الفلوت، بين سطِيحتين نضوحين، في الليل البليل، ويصبّح الحي ضاحكا لا يتأنن ولا يتأففُ " [9]، أي: لا يمل، ولا يضجر.

ولقد شاع على ألسنة العرب أمثلة وأدعية تضمنت **أف** بالمعنى عينه، فالعرب مثلا تقول في الباب الدعاء على الشخص الذي بانت إساءته وقبحت أفعاله :" عليه اللعنة والتأفيف"[10]، وتقول أيضا في باب النصح والإرشاد وكيفية التعامل مع الأخر:" لا تقولنَّ له أُفا ولا قُفا" [11].

1- تفسير الإمام الفخر الرازي، الجزء 20 الصفحة 190.

2- إسماعيل ذبن حماد الجوهري، الفارابي، يكنى بأبي النصر، لغوي، أديب، ذو خط جيد أصله من بلاد الترك من فاراب، ورحل إلى العراق، وقرأ العربية على أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى الحجاز وطوّف بلاد ربيعة ومضر، واجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف عاد راجعا إلى خراسان، ثم سرح إلى نيسابور، فلم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط حتى توفي بها سنة 393هـ. من تصانيفه: "تاج اللغة وصحاح العربية"،كتاب المقدمة في النحو،كتاب في العروض، وله شعر أيضا. (معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، الجزء 2، الصفحة 267) .

3- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الجزء 4 الصفحة 1331.

4- (329 – 395 ه) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل، وجامع التأويل في تفسير القرآن وغيرها.(الأعلام للزركلي، الجزء1، الصفحة 193)

5- ولد سنة 223هـ، وتوفي سنة 321 هـ ، وهو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب.
كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. وهو صاحب المقصورة الدريدية، له تآليف عدة منها: ذخائر الحكمة ، والمجتبى، والسحاب والغيث، وغير ذلك. (الأعلام للزركلي، الجزء 6، الصفحة 80)

6- مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس، دار الجيل ، سنة النشر 1999م، كتاب الهمزة، الجزء 1 ، الصفحة 17.

7- تاج العروس، للمرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، سنة 1986، الجزء 23، الصفحة 26.

8- توفي نحو 30 للهجرة، أي ما يقابلها ب650م، وهو متمم بن نويرة شداد اليربوعي التميمي، شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام. وكان قصيرا أعور.(الأعلام، الجزء 5، الصفحة 274)

9- مقاييس اللغة، لابن فارس، الجزء1، الصفحة 17.

10-كتاب العين، للخليل الفراهيدي، المجلد 01، الصفحة 75.

11- تهذيب اللغة، للأزهري، الجزء الثاني، مادة: أف.

والضجر والتبرم هي الدلالة المستفيضة حتى عند الشعراء أيضا، لتناسبها مع أغراضهم، ومعانيهم التي يرمون إليها، ومن الشواهد على ذلك – وهي كثيرة– ما جاء في ديوان الشاعر ابن نباتة[1] إذ قال[2] :

أف لعبد الدينار لو رضيت *** همتــه بالشقاء والفكــر

ومن شعر أبي حية النميري[3] أيضا قوله:

حَياءً وبُقْياً أن تشيعَ نَميمةٌ *** بنا وبكمْ أُفٌّ لأهلِ النَّمائمِ[4]

الثالث: الوسخ في الأذن أو الظفر

زيادة على ذلك فإن مما تحتمله كلمة **أف** من الدلالات حسب ما ورد في المعاجم، إلحاقا بالسآمة والقذارة، تخصيص هذه الأخيرة بما يكون في الأذن أو في الظفر من درن ونتن يستكرهه بين الناس، وهذا ما أشار إليه الخليل الفراهيدي رحمه الله بقوله : "والأف وسخ الأذن والتف وسخ الأظافر"[5]، إلا أنه جعل لكل قذراة في موطن معين اسما خاصا، الأف للأذن، والتف لما يعلق في الأظافر منها. أما الزجاج رحمه الله فقد أتى بعكس ما جاء به، وحكى فرقاً آخر، فقال: إن «أف»: وسخ الأظفار، و«التف»: الشيء الحقير، نحو وسخ الأذن، أو الشظية تؤخذ من الأرض"[6]، إلا أن ما دأب عليه أغلب الشراح القول الأول، وهذا ما ذهب إليه ابن منظور في اللسان، فالأف عنده" الوسخ الذي حول الظفر، والتف الذي فيه، وقيل: الأف وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار"[7]، وقد يكون بينهما عموم وخصوص.

ومعلوم أنّ اللغة العربية ثرية بمفرداتها، غنية بألفاظها، فقد جعلت للقذارة أسماء عدة تختلف باختلاف أماكن وجودها، فإذا كانت "في العين فهي رمص، وإذا جف فهو غمص، وإذا كانت في الأنف فهي مُخاط، وإذا جف فهو نغف، وإذا كانت في الأسنان فهي حفر، وإذا كانت في الشدقين عند الغضب وكثرو الكلام كالزبد فهو زنب، فإذا كانت في الأذن فهو **أف**، فإذا كانت في الأظفار فهو تُف– على المشهور –، فإذا كان في سائر البدن فهو درن"[8].

1- (686 – 768 هـ = 1287 – 1366 م) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقيّ المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد ابن نباتة. سكن الشام سنة 715 هـ تقريبا وولي نظارة بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة 761، فكان بها صاحب سر السلطان الناصر، له ديوان الشعر، وكتب كثيرة منها: "سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون" و" مطلع الفوائد" وغيرها.(الأعلام للزركلي، الجزء7 الصفحة 38).

2- ديوان ابن نباتة، جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان، الجزء 1، الصفحة 256.

3- أبو حية الهيثم بن ربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة النميري، شاعر مجيد متقدم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وكان فصيحا راجزا مقصّدا من ساكني البصرة، وكان أهوج جبانا بخيلا كذّابا معروفا بجميع ذلك، توفي في سنة 180هـ.(الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل العسقلاني، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، سنة 1415هـ، الجزء7، الصفحة 85)

4- شعر أبي حية النميري، تحقيق يحي الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، سنة 1975م، الصفحة 87.

5- كتاب العين، للخليل الفراهيدي، الجزء 1، الصفحة 75.

6- زاد المسير، لابن الجوزي، الناشر: دار ابن حزم المكتب الإسلامي، سنة النشر2002، الصفحة 809.

7- لسان العرب، لابن منظور، المجلد 01، الصفحة 121 و 122.

8- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة 1، سنة 2002م، الصفحة 97.

ويذهب بعضهم إلا أن اللفتين معا لوسخ الأظافر دون غيرها، فهذا أبو عبيدة رحمه الله يرى أن " أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها، وقيل: «أف»: ما يكون في المغابن من الوسخ، و «أف» :ما يكون في الأصابع"[1].

ولا نكاد نجد معنى **للتف** غير هذا المتعلق بالقذراة في ظفر أو الأذن، لأن نسق الكلمة جاء على سبيل التتابع مع أف التي من معانيها القذى، لهذا اشتركا في بعض المعنى، كقولنا: الرنان والطنان، والشيطان والليطان، والأسيف والعسيف، الخذروف والقذروف، وهلم جرا، وقد ذكر في "الإتباع والمزاوجة" ما نصه:

"هم بين حاذف وقاذف، فالحاذف بالعصا، والقاذف بالحجر، أف له وتُف له، الأف: وسخ الأذن، والتُف: وسخ الأظفار، وما هو لك بأسيف ولا عسيف، الأسيف: العبد، والعسيف: الأجير، وما يعرف الخذروف من القذروف، الحذروف: لعبة الصبيان، والقذروف: العيب"[2]. لأجل هذا التقارب في المعنى والمبنى يكثر استعمالهما معا في الكلام نثرا كان أم شعرا، ومن ذلك، قول الشاعر:

أفٍ وتف لمن مودته *** إن زلت عنه سويعة زالت

إن مالت الريح هكذا وكذا *** مال مع الريح كيفما مالت[3]

و في تاج العروس زيادة على ذلك، تقودنا إلى معنى اخر للكلمة، وهو القلامة، "فالأف، بالضمِّ: قلامة الظفر، أو وسخه الذي حوله"[4]، فجعل من معانيها الاسم الذي يطلق على الآلة المخصصة لتقليم الأظافر وتهذيبها، وهذا ما أورده غيره، كالقطان عن تعلب أنه قال: الأف: قلامة الظفر[5]، وكالأصفهاني في المفردات[6].

الرابع: بمعنى القلـة من الشيء

على غرار ما سلف ذكره، فإن **أف** يقصد بها في بعض استخداماتها القلة من الشيء وضد الكثرة، كما جاء في تاج العروس أن " «أف» : معناه القلة" [7]، ونظيره أيضا ما ساقه الأزهري رحمه الله من كون" «أف» معناه: قلّة، وتُف، إتباع، مأخوذ من «الأَفف»، وهو الشيء القليل"[8]، وقال غيرهم : «أف» معناه:" قلة، وهو مأخوذ من الأفيف وهو الشيء القليل، وتف أتباع له، كقولهم: شيطان ليطان خبيث نبيث"[9].

1- معالم التنزيل، للإمام البغوي، المحقق محمد عبد الله النمر ،سنة النشر1989م، الجزء الخامس، الصفحة86.

2- الإتباع والمزاوجة، أحمد بن فاس القزويني، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي القاهرة بمصر، الصفحة 58.

3- رسائل الثعالبي ، مكتبة دار البيان ببغداد، الجزء 1، الصفحة 77.

4- تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة 26.

5- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة 2 ، سنة 1986م، الصفحة 80.

6- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، المحقق صفوان الداودي، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ، الجزء 1، الصفحة 79.

7- تاج العروس، لمرتضى الزهري، الجزء 23، الصفحة 26.

8- تهذيب اللغة، للأزهري الجزء الثاني، مادة: أف.

9- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، الناشر: دار الفكر، الطبعة 01،سنة النشر: 1981م، الجزء21، الصفحة 189-193.

لهذا نجد في شرح الإمام النووي رحمه الله لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي تضمن كملة **أف** ، الذي سيأتي الحديث عنه في فصله، فيقول: "معناه الاحتقار مأخوذ من الأفف، وهو القليل"[1] ، فتوافق هذا المعنى اللغوي مع مضمون النبي صلى الله عليه وسلم ومقصوده، والمعاني اللغوية التي سنسوقها لها شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني.

المعنى الخامس: الأوان والحين

ترد **أف** على نظير ما سبق في سياق زمني للدلالة على الأوان والحاضر، وحلول وقت الشيء المنتظر، فنقول: مات فلان إف بزوغ الشمس، يعني حين طلعت، وفي هذا يقول ابن فارس رحمه الله :" وأما الهمزة والفاء في المضاعف فمعنيان: أحدهما تكره الشيء، والآخر الوقت الحاضر[2]، يعني في الحين والآن، يُقال: أتاني على إفّان ذاك، وأفَّان ذاك، وأَفَف ذاك، وعِدّان ذَاك، وتَفّة ذاك، وتَفِفَته، وتَفِفَته، بِمَعْنى وَاحِد[3]، وقولنا:" كان ذاك على إف ذاك وإفانه بكسرهما، أي حينه وأوانه، وجاء على تفة ذاك، مثال تعفة ذاك، وهو وهو تفعلة."[4]، ومن قول يزيد بن الطثرية[5]:

علَى إفِّ هِجْرَانٍ وَسَاعَةِ خَلْوَةٍ *** مِنَ النَّاسِ نَخْشَى أَعْيُناً أَنْ تَطَلَّعَا[6]

المعنى السادس: الجُبن والضعف الجبان ينعت باليأفوف في اللغة، وغير أفف غير رعش وخوار، وهو من قولهم أُف له أَي نتنا ودفرا يقوله المتضجر من الشّيْء، فكأن أَصله غير ذي أفة، أي: غير متأفف من القتال. وقولهم للجبان يأفوف من هذا أَيضا وغير خبر مبتدأ محذوف تقديره هُو غير أُفة[7].

قال السيوطي[8] رحمه الله: "رجل يَأْفوف: ضعيف، ويَهْفُوف: أحمق"[9]، وجمع ابن دريد الأزدي في جمهرته بين الوصفين معا، فقال :" وَرجل يَأفوف: ضعيف أَحمق"[10]، ومن الشواهد أيضا قول الأصمعي[1]: العيي الخوار، وأنشد فيه للراعي:

1- شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، توزيع دار السلام، سنة النشر: 1416هـ / 1996، الجزء 06،كتاب الفضائل، باب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، الرقم:2309.

2- مقاييس اللغة، لابن فارس، الجزء1، الصفحة 17، مادة أف.

3تهذيب اللغة (15/ 423)

4- الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، الجزء 4، الصفحة 1331.

5- أبو المكشوخ، الشاعر ، المحسن، يزيد بن سلمة بن سمرة، المعروف بالطثرية، وله شعر فائق،كثير في الحماسة، شاعر مقدم عند بني أمية، قتل باليمامة في سنة ستة وعشرين ومئة.(سير أعلام النبلاء، الذهبي، الجزء 6، الصفحة 237/ معجم المؤلفين، الجزء 13، الصفحة 237).

6- تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة 25.

7- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان، الطبعة2، الجزء1، الصفحة49.

8- (849 – 911 هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري الأصل، المصري، الشافعي (جلال الدين، أبو الفضل) عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد في رجب، ونشأ بالقاهرة يتيما، وقرأ على جماعة من العلماء ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزويا عن أصحابه جميعا فألف اكثر كتبه، وتوفى في 19 جمادى الأولى. بمنزله بروضة المقياس، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة. من مؤلفاته الكثيرة: الدر المنثور في التفسير المأثور، المزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث. (معجم المؤلفين، عمر كحالة، الجزء 5، الصفحة 128)

9- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة 1، سنة 1418هـ، الجزء2، الصفحة 144.

10- جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة1، سنة 1987م، الجزء 2، الصفحة 1109.

مُغَمَّر العَيْش يَأفُوفٌ شَمائِلُه *** يأبَى المودّة لَا يُعْطي وَلَا يَصِل[2]

وصفوة القول: أن **أف** في اللغة العربية يراد بها –حسب السياق الذي وردت فيه– معاني متعددة : أعمها الاستقذار والضجر من الشيء، وخصت بعدها بأمور كالوسخ في الأذن أوالظفر، ثم أطلقت في بعض معانيها على قلامة الأظافر كاسم من أسماء الآلة، وأريد بها أيضا ما دل على القلة من الشيء، والآني في الوقت والحين، وباتت أيضا وصفا لكل جبان رعش كما سبق إيضاحه، وكل هذه المعاني تطورت وبرزت مع تطور الزمن، قال الإمام القتبي رحمه الله في ذكر ملامح من التغير الذي طرأ عليها :

" **أف**: أصله أنه إذا سقط عليه تراب ونحو نفخ فيه ليزيله ، فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل أف، ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل إليهم ، وقال أبو عمرو بن العلاء[3]: "الأف وسخ بين الأظفار والتف قلامتها"[4] إحالة منه إلى التحول الذي لحق الكلمة.

لغـات «أف» ووجـه إعرابـها:

فضلا عن كون اللغوين لف حول حماهم الاختلاف في شرح كلمة **أف**، وبيان المقصود منها وفحواها وَفق ما سبق، ولم يتفقوا على حَدٍ واحد للكلمة، فإن هذا الاختلاف قد طال ذلك، وتجاوزه إلى لغاتها وأوجهها، وكفية كتابتها، وما يلحقها من الصحيح والسمين، و الغث والسقيم، فزعم بعض أرباب اللغة أنها ثلاثة أوجه لا غير، وزاد بعضهم عليها فعدها عشرا حصرا، في المقابل هناك من غلا في الأمر وأوصلها للأربعين والخميس لغة لها، وتبسيطه ما سيأتي ذكره.

يقول الخليل الفراهيدي رحمه الله :"وفيه ثلاث لغات (إشارة إلى أف) : الكسر والضم والفتح بلا تنوين ، وأحسنه الكسر، فإذا نُونت فارفع، تقول أفٌ، لأنه يصير اسما بمنزلة قولك : ويلٌ له، والعرب تقول أفه له مؤنثة مرفوعة، لا يقال ذلك إلا بالتنوين، إما مرفوعا وإما منصوبا، والنصب على طلب الفعل كأنك تقول: أففت أفاً ، وتقول الأفُ والتُفُ "[5].

1- (122هـ-216هـ) هو عبدالملك بن قريب، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده ووفاته في البصرة، كان كثير الطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، أخباره كثيرة جدا، وكان الرشيد يسميه" شيطان العشر"(الأعلام للزركلي، الجزء4، الصفحة 162).

2- تهذيب اللغة، للأزهري، الجزء 15، الصفحة: 423.

3- أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري، شيخ القراء والعربية، مولده نحو سبعين، وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة (سير أعلام النبلاء، طبعة الرسالة، الجزء 6 الصفحة 410)

4- فتح البيان في مقاصد القران، لأبي الطيب صديق القنوجي البخاري، دار الكتب العلمية، الجزء الرابع، الصفحة 120.

5- كتاب العين، للخليل الفراهيدي، الجزء 1، الصفحة 75، مادة أفف.

في حين ذكر الجوهري رحمه الله منها ستة في رواية رواها عن الأَخفش بإضافة وجهين، وزاد النحوي ابن مالك[1] رحمه الله على هذه الست أربع لغات، فصار المجموع عشرة كاملة[2]، وهذه الأوجه بمجموعها هي: [3]

أف ربع أخيره ثم ثلث	***	مبتداه مشددا ومخفف
وبتنونه بالترك أفا	***	لا ممالا وبالإمالة مضعف
وبكسر ابتدا وافي مثلث	***	وزد الهاء في أف اطلق لا أف
ثم مدا بكسر أف واف	***	ثم أفوفا حفظ ودع ما يزيف

1-أُفَّ لَهُ، و2-أُفٍّ، و3-أُفٌّ، و4-أُفًّا، و5-أُفٍّ، و6-أُفٌّ، و7-أُفٍّ مُمالٌ، و8-أُفَّ، و9-أُفَّةٌ، و10-أُفْ خفيفة من أُفّ الْمشددة، وهي التي نظمها في قوله:[4]

فأُفَّ ثَلِّثْ ونَوِّنْ، إِنْ أَرَدْتَ، وقُل	***	أُفَّ وأُفٍّ وأُفْ وأُفَّةً تُصِبِ

وعمد قوم أخرون إلى القول بأكثر من ذلك أضعافا مضاعفة، فمن ذلك قول الإمام السيوطي رحمه الله نقلا عن أبي حيان الأندلسي[5] رحمه الله في الارتشاف[6]: بل فيها نحو أربعين لغة[7]، وفي دلالة على الانقسام الذي لحق الجذر اللغوي فترفعت عنه هذه هذه الأوجه الكثيرة، ولبيانها فقد نظمها السيوطي في موطن أخر فجمع هذه اللغات كلها، والأبيات هي[8] : **ولغاتها** هي: أُفٍّ، بالضم، وتُثَلَّثُ الفاءُ، وتُنَوَّنُ، وتُخَفَّفُ فيهما. أُفْ، كطُفْ، أُفّ، مُشَدَّدَةَ الفاءِ، أُفَّ بغيرِ إمالَةٍ، وبالإمالَة

1- (600 – 672 ه) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجيّاني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان بالأندلس، وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه: الألفية في النحو والكافية في النحو ، وتسهيل الفوائد.(الأعلام للزركلي، الجزء 6، الصفحة 233)

2- الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، الجزء 4، الصفحة 1331، مادة أفف.

3- لسان العرب، لابن المنظور، الصفحة 121 و 122/تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة 26.

4- لسان العرب، لابن المنظور، الصفحة 121 و 122/تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة 26..

5- الشَّيْخ الإمام الْعَلامَة علم الْقُرَّاء أستاذ النُّحَاة والأدباء جمال الْمُفَسّرين أثير الدّين أَبُو حَيَّان مُحَمَّد بن يُوسُف بن عَليّ بن يُوسُف بن حَيَّان النفزي الأندلسي الجياني ثمَّ الغرناطي ثمَّ الْمصْرِيّ الظَّاهِرِيّ ولد بمطخشارش من غرناطة قَاعِدَة بِلَاد الأندلس فِي الْعشْر الأخير من شَوَّال سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة، ودفن في شمال القاهرة سنة 745هـ.(الرد الوافر، لابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى، سنة 1393هـ، الصفحة68)

6- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي المتوفى 1023 ت.

7- أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك- محمد الكندهلوي – دار القلم الطبعة الأولى، سنة 2003، الصفحة 542.

8- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، للسيوطي، دار الكتب العلمية، كتاب الطهارة ، الجزء الأول ، الصحفة 80.

المِحْضَةِ، وبالإِمَالَةِ بَيْنَ بَيْنَ، والأَلِفُ في الثلاثَةِ للتأنيثِ، أُفِّي بكسر الفاءِ، أُفُّوْهْ أُفُّهْ، بالضم مُثَلَّثَةَ الفاءِ مُشَدَّدَةً، وتُكْسَرُ الهمزةُ، إفْ، كمن، إفّ مشددةً، إفِ بكسرتينِ مخَففة، إفٍ منونة مخَففةً ومشدَّدة وتثلَّث، إفُّ بضم الفاءِ مُشَدَّدَةً، إفًّا، كإنَّا، إفَّ بالإمالَةِ، إفِّي بالكسر وتفتحُ الهمزَة، أفْ، كعَنْ، أفِّ مشددةَ الفاءِ مَكسورَةً، آفْ مَمْدودَةً، أفٍ آفٍ مُنَوَّنَتَيْنِ[1].

ورأى ابن فارس رحمه الله استحالة وقوع ذلك، واستنكر أن يكون للكلمة الواحدة: الأربعون لغة والخمسون لغة، وخطأ من ينحو هذا المذهب ويعتقد به، باعتبار أن اللفظة أقصى ما يمكن أن يكون لها من أوجه هو الخمسة والعشرة منها فحسب من غير زيادة، ولا يتصور أكثر من ذلك، فقال:" ويقع في الكلمة الواحدة لغتان كالصرام، وثلاث كالزجاج، وأربع كالصداق، وخمس كالشمال، وست كالقسطاس ولا يكون أكثر من هذا"[2]

ولقد استدرك على ابن فارس رحمه الله الإمام الزركشي رحمه الله، ورأى قوله ذاك مجانب الصواب، مخالف للجادة، واصف قوله بالغرابة، لأنه في حيز الممكن الوارد في اللغة، فقال: "وهذا غريب، فقد حكوا في الأصبع عشر لغات، وكذا الأنملة، ونظائره كثيرة، وقيل: في **أف** خمسون لغة"[3]

وقد فصل هذه اللغات صاحب البحر المحيط المفسر العظيم أبو حيان رحمه الله فذكر منها أربعين لغة[4]، في حين ذكر المرتضى في تاج العروس خمسون لغة بتفصيل عجيب، عَد فيها الأوجه المعروفة كلها، يراجع قوله [5].

وأتى بعضهم بوجه آخر، وهو بكسر الهمز "**يئف**" ، بيد أنه نادر الاستعمال، إن لم يقل عنه شاذ عن المجموعة، لزيادة الياء وكسر همزه، وقد ساقه ابن دريد رحمه الله في كتابه "الجمهرة في اللغة " كما ذكر الزبيدي رحمه الله الذي استدرك أيضا على هذا الوجه قائلا: " ولم يذكره ابن مالك في اللامية، وكذا في شروح التّسهيل، ولا استدركه أبو حيان"[6]، ومن الأوجه الخاطئة أيضا عند البعض أفي بياء في الأخير على سبيل المد، جاء في "التكملة فيما يلحن فيه العامة": ولا تقل أفي بالياء فإنه خطأ"[7]، ولعل المقصودة المقصودة التي هي بفتح الهمز.

و هذه الأوجه غير متداولة، ولم يذع صيتها على اللسان العربي كثيرا، وزهد أهل الفصاحة والبيان في استخدامها، فضلا عن العوام الذي شحوا في إدراجها في ثنايا الكلم، وهذا ما دفع الفخر الرازي رحمه الله ليتساءل عن هذا الجفاء والبخس لهته الأوجه، ويقول: " البحث المشكل ههنا أنا لما نقلنا عشرة أنواع من اللغات في هذه اللفظة، فما السبب في أنهم تركوا أكثر تلك اللغات في قراءة

1- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت-لبنان، الطبعة الثامنة سنة 1426هـ، الجزء1، الصفحة 792.

2- البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام الزركشي، دار الكتبي ، سنة النشر 1994م ، الطبعة الأولى، الجزء الثاني ، مباحث اللغة ، الصفحة 266.

3- المصدر نفسه، الجزء الثاني ، مباحث اللغة ، الصفحة 266.

4- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، المحقق: عادل أحمد وعلي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1993، الجزء 06، الصفحة:21و22.

5- تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة 26.

6- المصدر نفسه، الجزء 23، الصفحة 26.

7- التكملة فيما يلحن فيه العامة، أَبُو مَنْصُوْرٍ ابن أبي طاهر، مخطوط الصفحة: 87.

هذه اللفظة، واقتصروا على وجوه قليلة منها؟[1]، ولعل إلف الناس لبعض هذه اللغات دون غيرها، وطغيان بعضها في الشعر والنثر أدى للتغاضي عن الأخرى، وتدني مستوى اللغة العربية لدى المتحدثين بها،، وغير ذلك بين تلك الأسباب والعلل في الاقتصار على الوجوه القليلة منها.

إعراب كلمة «أف»:

أف وأخواتها مثل: تُف، وصه، ومه، وشتان، ورويدك، وحذار، وهيهات، وبله، وهلم، وغيرها، كلها من أسماء الأفعال التي تدل على معاني الفعل، وتعمل نفس العمل، سوى أنها لا تتصرف، وكذا لا تقبل علاماته، سواء أكانت مرتجلة أم منقولة، وهي كما نص عليها في كتب النحو تأتي بصيغة واحدة للفرد والتثنية والجمع، ونقل عن سيبويه أنها ليست أفعالا مستقلة، وأن **أف** ليس بفعل موضوع على أَفَّ، ولكنه من باب سبح وهلل، إذا قال: سبحان الله، ولا إلهَ إلَّا الله[2]. ولإيضاح المسألة أكثر، نورد ثلة من أقوال أهل العلم في إعراب الكلمة :

قال ابن جني[3] رحمه الله :" أما « أف»، ونحوه من أسماء الفعل، كهيهات في الجرّ، فمحمول على أفعال الأمر، وكان الموضع في ذلك إنما هو لصه ومه، ورويد، ونحو ذلك، ثم حمل عليه باب أُفّ ونَحوها، من حيث كان اسما سمي به الفعل، وكان كل واحد من لفظ الأمر والخبر قد يقع موقع صاحبه، صار كل واحد منهما هو صاحبه، فكأن لا خلاف هناك في لفظ ولا معنى"[4].

ويقول الخليل الفراهيدي رحمه الله في بيان وجه الإعراب المتعلق بها :"وفيه ثلاث لغات (إشارة إلى أف): الكسر والضم والفتح بلا تنوين، وأحسنه الكسر، فإذا نُونت فارفع، تقول أفٌ ، لأنه يصير اسما بمنزلة قولك: ويل له، والعرب تقول أفةٌ له مؤنثة مرفوعة، لا يقال ذلك إلا بالتنوين، إما مرفوعا وإما منصوبا، والنصب على طلب الفعل كأنك تقول: أففت أفاً، وتقول الأفُ والتُفُ"[5]، ويضيف الزمخشري رحمه الله :" **أف** :صوت يدل على تضجر. وقرئ أف بالحركات الثلاث منوناً وغير منون الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم، والضم إتباع كمنذ"[6].

وأبدع في التبسيط ابن الأنباري رحمه الله فقال: "من قال أُفًا لك، نَصبه على مذهب الدّعاء، كما يقال: ويلًا للكافرين، ومن قال: أُفٌ، رَفَعه باللام، كما يقال: ويلٌ للكافرين، ومن قال: أُفٍ لك، خَفضه على التشبيه بالأصوات، كما يقال: صَهٍ ومَهٍ، ومن قال:

1- مفاتيح الغيب، للرازي، الجزء21، الصفحة 189-193.

2- الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجهوري، الجزء 4 الصفحة 1331.

3- عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي سنة 392هـ ببغداد ، عن نحو 65 عاما، وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في: " من نسب إلى أمه من الشعراء" و "شرح ديوان المتنبي " و "المبهج " في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، وغير ذلك.(الأعلام للزركلي، الجزء 4، الصفحة 204)

4- تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة 26.

5-كتاب العين، للخليل الفراهيدي، الجزء 1، الصفحة 75.

6- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة سنة 2009، الطبعة الثالثة، الجزء594.

أُفٍ لك، أضافه إلى نَفْسه، ومن قال: أُفْ لك، شَبهه بالأدوات بمن، و كم، وبل، وهل".[1]

مثـــال ما سبق :

ولتبسيط المقال نبينه بمثال ما ذكره أحمد الدعاس ومن معه من المؤلفين، في إعرابه لقوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا، وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الآية23)، فقال تعليقا ما نصه :"...(فَلا) : الفاء رابطة للجواب ولا ناهية، (تقُلْ): فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وفاعله مستتر والجملة في محل جزم جواب الشرط، (لَهُما): متعلقان بتقل، (أُفٍّ) اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، (وَلا تَنْهَرْهُما) : الواو عاطفة ومضارع مجزوم بلا الناهية فاعله مستتر والهاء مفعول به والجملة معطوفة، (وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً): أمر فاعله مستتر والجار والمجرور متعلقان بقل وقولا مفعول مطلق وكريما صفة والجملة معطوفة"[2] انتهى كلامه.

وذكر الإمام الطبري رحمه الله كلاما مطولا في بيان أوجه إعراب الكلمة، ونكتا نحوية عنها، وهذه لمح منه: " وللعرب في **أف** لغات ستّ: رفعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي قراءة عامة أهل المدينة. شبهها بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق، فخفضوا القاف ونوّنوها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحرّكوا إلى أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر، لأن المجزوم إذا حرّك، فإنما يحرّك إلى الكسر، وأما الذين خفضوا بغير تنوين، وهي قراءة عامة قرّاء الكوفيين والبصريين، فإنهم قالوا إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا، كالذي يأتي على حرفين مثل مَه وصَه وبَخ، فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنيه الأسماء. قالوا وأفّ تامّ لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف"[3].

«أف» في السياق القرآني والحديث النبوي :

إن العربية الفصحى لتستمد رونقها وبهاءها من نبع القرآن الكريم، ومن معين سنة النبي صلى الله عليه وسلم تكتسي جمالا وجلالا ما له مثيل، وإن المعاني اللغوية لكلمة **أف** لها شواهد عظيمة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومعاني الاستقذار والضجر للكلمة هو أكثرها حضورا فيهما، وهذه اللفظة قد وردت في مواطن ثلاث من الذكر الحكيم، هي إجمالا مع الوقوف على شيء من تفسيرها، كالتالي :

1- **أولها** في سورة الإسراء الآية 23، وسياقها النهي، أي التحريم المطلق لأي فعل يخدش بر الوالدين، أو الإساءة ليهما بأدنى دركات العقوق، ولو بفعل تضجر أو قول استثقال واحتقار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾.

1- تهذيب اللغة، للأزهري، الجزء الثاني، مادة: أف.

5- إعراب القرآن الكريم، أحمد الدعاس وأحمد حميدان وإسماعيل القاسم، دار المنير بدمشق، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ، الجزء الثاني، الصفحة 188.

3- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري، الناشر: مؤسسة الرسالة، طبعة 1994م، الجزء5، الصفحة 21.

وللمفسرين في تأويل هذه الآيات عبرٌ مستنبطة، ودرر مستخرجة، ونكت مستلطفة، جمعوها في طيات تفاسيرهم، فمن جملة ذلك ما يلي:

جاء عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس[1] رضي الله عنه أنه قال:" **أف** كلمة كراهة بالغ تعالى في الوصية بالوالدين، واستعمال وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا نقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلاً عما يزيد عليه[2]"، ولو كانت هذه اللفظة من السُبة التي لها وقع في سويداء فؤادهما، وهي أخف دركات العقوق شرا ، فكيف بغيرها من سب وضرب ونيل بهما ؟.

ونقل عن الإمام مجاهد[3] رحمة الله عليه أنه قال في تأويله للآية ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُما أُفّ وَلا تَنْهَرْهُما ﴾ قال: إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن، فلا تقل لهما أفّ تقذّرهما"[4] إشارة منه إلا أنهما عاملاك بما هو أجل من ذلك في تنقيتك من فضلاتك، ولم يستقباحك في صغرك، فلا تعاملهما بنقيض الفعل والإحسان، وله شبيه ما سبق في موضع أخر رحمه الله، فقال:" فلا تَقُل لهما أف حين ترى الأذى، وتميط عنهما الخلاء والبول، كما كانا يميطانه عنك صغيرا، ولا تؤذهما"[5]، وهذا من أقل البر لهما، ولا يعوض خيرهم، ولو أحسن إليهما ليلا نهارا عشر معشار ما أغدقوا به علينا من الحب والرعاية. ونقل صاحب بحر العلوم رحمه الله معلقا على الآية :"أي لا تقذرهما ولا تقل لهما قولاً رديئاً عند خروج الغائط منهما إذا احتاجا إلى معالجتهما عند ذلك"[6]، وحتى إن لم يحتاجاك إلى ذلك لزم المبادرة للقيام بكل فعل يشق عليهما، ولو مؤانسة لهما وملاطفة بهما.

والإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره للآية عَد ست عشرة مسألة متعلقة بها، فاستهل الحديث عن منزلة التوحيد وعظم شأنه، وحذر من نقيضه الشرك بالله والوقوع فيه، ثم ساق قضايا شتى في بر الوالدين والإحسان إليهما، وضرورة طاعتهما ولوكانا على ملة الشرك ونحلة الكفر، إلا إن حملاك على الشرك، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(لقمان، الآية15)، وبين وأن رضى الله عز وجل في رضاهما، وسخطه في سخطهما، وأن من تمام بِرِّهما صِلة أهل وُدِّهما، وأن فعل ذلك من طاعة الله عز وجل، وأطنب في ذكر النصوص الدالة على ذلك. إلى أن قال في المسألة

1- توفي سنة 68هـ، وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغير هما 1660 حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر.(الأعلام للزركلي، الجزء4، الصفحة 95)

2- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق : صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة 1420هـ، الجزء 7، الصفحة 36.

3- (21 - 104 هـ) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى " بئر برهوت " بحضرموت، وذهب إلى " بابل " يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في " التفسير " فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: أنه مات وهو ساجد.(الأعلام للزركلي، الجزء5، الصفحة 278).

4- جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري، تحقيق أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة1، الجزء 17، الصفحة 415.

5- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الجزء 17، الصفحة 415.

6- بحر العلوم، للسمرقندي، دار الكتب العلمية، سنة النشر:1993 ، الطبعة الأولى،الجزء2، الصفحة 264.

الثانية عشرة:" أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم. وعن أبي رجاء العُطَارِدِيّ قال: الأُفُّ الكلام القَذَع الرديء الخفيّ. وقال مجاهد: معناه إذا رأيت منهما في حال الشيَخ الغائطَ والبول الذي رأياه منك في الصغر فلا تَقْذَرْهما وتقول أُفّ. والآية أعمّ من هذا"[1]، ثم سلط الضوء على كلمة **أف** وأوجهها ثم أردف بعدها القول:" قال علماؤنا: وإنما صارت قوله **أف** للأبوين أردأ شيء لأنه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية وردّ الوصية التي أوصاه في التنزيل. و أف كلمة مقولة لكل شيء مرفوض؛ ولذلك قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي رَفْض لكم ولهذه الأصنام معكم"[2].

ومن أخبار التأويل وأسرار التفسير أيضا لكلمة **أف** ما ذكره الزمخشري –جار الله– رحمه الله في تأويله للآية :"..فإن قلت ما معنى عندك؟ قلت هو أن يكبرا ويعجزا، وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشق عليه وأشدّ احتمالاً وصبراً، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق، ولين الجانب والاحتمال، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف، فضلاً عما يزيد عليه. ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة"[3].

من القواعد التي قعد لها الأصوليين وغيرهم 'أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب'، والأمر سيان في تعامل المفسرين مع الآيات القرآنية، فالسياق الذي وردت فيه كلمة **أف**، هي من عموم اللفظ لا من خصوصه، إذ المنهي عنه ليس استخدام التأفيف مع الوالدين فحسب، وتحمل الآية على ظاهرها، بل تتعدى إلى كل أنواع الإساءات التي تفضي إلى العقوق بهما، ولو شيئا استقر في جؤجؤ المرء وصدره، قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:" وليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما **أف** خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوْجز كلمة، وبأنها غير دالة على أكثر من حصُول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأوْلى"[4].

فالنهي هنا عام "لواحد منهما في حالتي الاجتماع والانفراد، وليس المراد حالة الاجتماع فقط "[5]، وهو أيضا للتأفيف بَله ما هو أعظم من ذلك، وكيف بالسب واللطم والدفع والضرب، وذلك قياس جلي، لهذا نجد الألوسي رحمه الله يقول: "والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياساً جلياً"، لأنه يفهم بطريق الأولى، ويسمى مفهوم الموافقة ودلالة النص وفحوى الخطاب،

1- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، رقم الطبعة:1، الجزء 13، الصفحة 50.

2- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، الجزء 13، الصفحة 50.

3- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام الزمخشري، دار الكتاب العربي، ببيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1407هـ، الجزء الثاني، الصفحة 658.

4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، سنة 1984م، الجزء 15، الصفحة 70-71.

5- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، الجزء3، الصفحة 260.

وقيل يدل على ذلك حقيقة ومنطوقاً في عرف اللغة كقولك: فلان لا يملك النقير والقطمير فإنه يدل كذلك على أنه لا يملك شيئاً قليلاً أو كثيراً[1].

ومن اللطائف التي يسوقها أهل الصنعة التفسيرية أيضا هي محاولتهم الجمع بين المعنى اللغوي وتفسير الآية، بما تقتضيه اللغة، فقد جاء في البحر المديد: "فالنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياسًا بطريق الأخرى. وقال في الإحياء: الأُفّ: وسخ الظفر، والتف: وسخ الأذن، أي: لا تصفهما بما تحت الظفر من الوسخ، فأحرى غيره، وقيل: لا تتأذّ بهما كما يتأذى بما تحت الظفر"[2]. وممن استطرد في استنباط المعاني من الآية، الإمام الفخر الرازي رحمه الله، الذي أَولَها بتأصيل أصيل قل نظيره، ومن جملة قوله: "قول القائل: لا تقل لفلان أف، مثل يضرب للمنع من كل مكروه وأذية وإن خف وقل. واختلف الأصوليون في أن دلالة هذا اللفظ على المنع من سائر أنواع الإيذاء دلالة لفظية أو دلالة مفهومة بمقتضى القياس قال بعضهم: إنها دلالة لفظية، لأن أهل العرف إذا قالوا: لا تقل لفلان أف عنوا به أنه لا يتعرض له بنوع من أنواع الإيذاء والإيحاش، وجرى هذا مجرى قولهم فلان لا يملك نقيراً ولا قطميراً في أنه بحسب العرف يدل على أنه لا يملك شيئاً. والقول الثاني: أن هذا اللفظ إنما يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء بحسب القياس الجلي، إذا عرفت هذا فنقول: المنع من التأفيف إنما يدل على المنع من الضرب بواسطة القياس الجلي الذي يكون من باب الاستدلال بالأدنى على الأعلى"[3].

2- الآية الثانية: وردت في سورة الأنبياء وسياقها العام الدعاء، والمراد بذلك دعوة إبراهيم عليه السلام على قومه العاكفين على عبادة الأصنام والأوثان، فقال سبحانه وتعالى:﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء، الآية76)، قال الطبري رحمه الله :"{ أُفّ لَكُمْ} يقول: قُبحاً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السموات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ؟[4].

قال جار الله الزمخشري رحمه الله :"الأُف صوت إذا صوّت به علم أنّ صاحبه متضجر، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم. واللام لبيان المتأفف به، أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف"[5]، يعني: يعني: "قذراً لكم وسحقاً لكم وتعساً لكم"[6]، تبخيسا لفعلهم، "وفي هذا تحقير لهم ولمعبوداتهم"[7].

وهي لفظة كما رأينا تقال عند المستقذرات من الأشياء فيستعار ذلك للمكروه من المعاني كهذا وغيره فلما غلبهم إبراهيم عليه السلام من جهة النظر والحجة نسكوا رؤوسهم وأخذتهم عزة بإثم وانصرفوا إلى طريق الغشم[8] فخليل الرحمن عليه السلام تضجر منه

1- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للإمام الألوسي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ، الجزء8، الصفحة 54.

2- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس بن عجيبة، المحقق :أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة دار القاهرة 1419 هـ ،الجزء3، الصفحة 191.

3- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، الجزء21، الصفحة 189-193.

4- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري، الجزء5، الصفحة 265.

5- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، الجزء3، الصفحة: 125.

6- بحر العلوم، للسمرقندي ،الجزء2، الصفحة371.

7- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، الجزء3، الصفحة 489.

8- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، الناشر دار ابن حزم، الجزء1، الصفحة 1285، سورة الأنبياء.

إصرارهم على الباطل بعد انقطاع العذر ووضوح الحق، وأصل أف صوت المتضجر من استقذار.[1]

3-الآية الثالثة: جاءت في سورة الأحقاف، ذكرت على سبيل تشنيع العقوق، والاستهانة والتضجر من الوالدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(الأحقاف، الآية 17)، وجاء في سياق المقابلة فبعد ذكر البار بوالديه، تحدث الله عز وجل في هذه الآية عن العاق بهما، أي " أنه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه في الآية المتقدمة، وصف الولد العاق لوالديه في هذه الآية، فقال: { وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُم}"[2].

والصحيح في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في عبدٍ كافر عاقٍّ لوالديه، وقال محمد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان بن الحكم حتى يبايع الناس ليزيد؛ فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هِرَقْلِيّة، أتبايعون لأبنائكم! فقال مروان: هو الذي يقول الله فيه:{ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ} الآية. فقال: والله ما هو بِه، ولو شئت لسمّيت، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فَضَض من لعنة الله. قال المهدوِي: ومن جعل الآية في عبد الرحمٰن كان قوله بعد ذلك {أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ} يراد به من اعتقد ما تقدم ذكره؛ فأول الآية خاص وآخرها عام. وقيل إن عبد الرحمٰن لما قال: «وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُون مِنْ قَبْلِي» قال مع ذلك: فأين عبد الله بن جُدْعان، وأين عثمان بن عمرو، وأين عامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما يقولون. فقوله: { أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ } يرجع إلى أولئك الأقوام"[3].

وبخصوص القراءات القرآنية الواردة في أف: فالقراء مختلفون في كيفية قراءة كلمة، وجل القراءات يعتد بها ومن القراءات المتواترة، فيقرأ بعضهم بضم الفاء وطائفة أخرى فتحها وثالثة بكسرها مع التشديد والتنوين، وقرئ بالتشديد أيضا مع الحركات الثلاث بلا تنوين، وللقراء السبع ثلاث قراءات [4]، وحاصل الأمر، ما جاء في "حرز الأماني ووجه التّهاني"[5] للإمام الشاطبي[6] رحمه الله؛ مبيّنا مبيّنا كيفية قراءة القُراء السّبعة المعروفين لها :

وَعَنْ كُلِّهِمْ شَدِّدْ/ وَفَا (أُفٍّ) كُلِّها	***	بِفَتْحٍ دَناَ كُفْؤًا وَنَوِّنْ عَلَى اعْتَلاَ

1- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الألوسي، الجزء8، الصفحة 54.

2- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، الجزء28، الصفحة 23 .

3- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، الجزء 19، الصفحة 200.

4- ذكرت باستفاضة في كتاب " تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن " دار كنوز إشبيليا للنشر والطبع ،الطبعة الثانية ، الصفحة: 156.

5- حرز الأماني ووجه التّهاني في القراءات السبع، للإمام الشاطبي، تصحيح ومراجعة: محمد الزغبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الخامسة، سنة 2010 م، الصفحة 65.

6- (538 – 590 هـ) القاسم بن فيرة بن خلف بن احمد الرعيني، الأندلسي، الشاطبي، الضرير أبو محمد، مقرئ، نحوي، مفسر، محدث، ناظم. ولد بشاطبة احدى قرى شرقي الأندلس آخر سنة 538 هـ، وتوفي بالقاهرة في 28 جمادى الآخرة، ودفن بالقرافة. من آثاره: حرز الأماني ووجهه التهاني في القراءات السبع، عقيلة القصائد في أسنى المقاصد في نظم المقنع للداني، ناظمة الزهر في أعداد آيات السور (معجم المؤلفين، كحالة، الجزء 8، الصفحة 111).

والشرح النفيس للبيت، ذكره صاحب "الوافي في شرح الشّاطبية "،والخلاصة أنَّ: ابنَ كثير وابن عامر رحمة الله عليهما: يقرآن بفتح الفاء وترك التنوين: (أُفَّ)، وأن نافعا وحفصا رحمة الله عليهما: يقرآن بكسر الفاء وتنوينها: (أُفٍّ)، وأن بقية القرآن السبع: يقرؤون بكسر الفاء، وترك تنوينها:(أُفٍّ)"[1].

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: فلا تقل لهما أُفَ خفيفة مفتوحة على تخفيف الثقيلة، مثل رب، وقياسه التسكين بعد التخفيف. وقرأ عمرو بن عبيد: فلا تقل لهما إفَ بكسر الهمزة وفتح الفاء [2].

أما إرث النبي صلى الله عليه وسلم فهو زاخر بهذه اللفظة، والمعاني التي جاءت بها في السياقات النبوية هي من تلك التي ألفناها في اللغة العربية، ولها شواهد من السنة المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام، وحتى من الآثار التي ثبت عن الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين، ولكون دلالات هذه الكلمة في الأحاديث النبوية هي نفسها التي ذكرت في تأويلات الآيات القرآنية السالفة الذكر من غير إضافات نوعية جليلة، ارتأيت أن أتخذ مسلك الإيجاز في ذكر أمثلة لذلك من غير إطناب في التحليل والتكرار، ومنها: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك[3] رضي الله عنه، قال : "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي أفا قط ، ولا قال لي لشيء، لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا[4]"، أي تأفيفا على سبيل التضجر والمعاتبة ، وقوله :ما قال لي: أفاً قط، ولا قال لي لشيء قط: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا، ولا عاب على شيئاً قط، هذا من كرم خلقه صَلَّى اللَّه عليه وسلم وصبره، وحسن عشيرته ، وقوله: " أفاً ": الأف كلمة، معناها: التبرم، وهي اسم فعل، وأتى بها في الكلام للاختصار والإيجاز؛ لأنه يستعمله للواحد والإثنين، والمذكر والمؤنث، بلفظ واحد، ومنه قوله تعالى: {فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ}[5].

ومما اشتهر عند العامة حديث النبي صلى الله عليه وسلم :"لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أفٍ لحرمه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار"، الذي ورد من طرق عدة أشهرها ما رواه أبو عبد الرحمن بن محمد قال حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا أصرم عن عيسى بن عبد الله الأشعري عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسل: فساق الحديث، فهو في ميزان المحدثين

1- الوافي في شرح الشاطبية، لعبدالفتاح عبدالغني القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الرابعة سنة1992 م، الصفحة 307.

2- تاج العروس، مرتضى الزبيدي، الجزء 23، الصفحة27.

3- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم، وأحد المكثرين من الرواية عنه، صحّ عنه أنه قال: قدم النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين، وأن أمه أم سليم أتت به النبي صلّى اللَّه عليه وسلم لما قدم. فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك، فقبله. وأن النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم كناه أبا حمزة ببقله كان يجتنبها، ومازحه النبي صلّى اللَّه عليه وسلم، فقال له: «يا ذا الأذنين».
شهد الفتوح، ثم قطن البصرة ومات بها. قال عليّ بن المدينيّ: كان آخر الصحابة موتا بالبصرة، قال جرير بن حازم: قلت لشعيب بن الحبحاب: متى مات أنس؟ قال: سنة تسعين.(الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، الجزء 1، الصفحة 276).

4- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، الجزء 4 ، الصفحة 1804، الرقم 2309.

5- إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض السبتي، تحقيق الدكتور يحي إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، الطبعة1، سنة 1998م،الجزء7، الصفحة 274.

حديث ضعيف، وحكم عليه بعضهم بالوضع، وقد أورده الشوكاني[1] والديلمي[2] رحمهما الله، وغيرهما.

وعن أم سعيد بنت أسود المحاربي، عن أمها أنها أخبرتها :"أنها دخلت على أم سلمة فسألتها عن الغيبة.. فأخبرتها أم سلمة أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، فأتتها جارة لها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فاغتابتا، وضحكتا برجال ونساء، فلم تبرحا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي صلى الله عليه وسلم منصرفاً من الصلاة، فلما سمعتا صوته، سكتتا حتى قام بفناء البيت، فألقى طرف ثوبه على أنفه ثم قال: أفٍ أفٍ.. اخرجا فاستقيا ثم تطهرا بالماء"[3]، استقذارا لأمر الغيبة وتقبيحا لفعلها، قال ابن الأثير[4] رحمه الله:" معناه الاستقذار لما شم، وقيل معناه الاحتقار والاستقلال، وهي صوت إذا صوت به الإنسان عُلم أنه متضجر متكره"[5]، وذكر في التنوير عن القاضي عياض رحمه الله قوله أن: "أف لك أي استحقار لك وهي كلمة تستخدم في الاستحقار والاستقذار[6].

ومن المعاني اللغوية لأف كما ذكرنا الجبن والخوف، وعين المعنى ذكر في حديث أبي الدرداء:" نعم الفارس عُويمر غير أفه"، قال الزمشخري رحمه الله في شرحه للأثر: أي غير جبان[7].

خاتمـــة:

ومسك الختام هو أن الكلمة العربية حمالة لأوجه، ومعان شتى، ومحاولتي هذه تسعى لتصيد هذه المعاني اللغوية المتصلة بكلمة «**أف**»، والوقوف عليها من غير إطناب ممل ولا اختصار مخل قدر الجهد والتوفيق، وكذا اقتناص تأويلات المفسرين لها في سياقاتها القرآنية الذي جاءت فيه الكلمة، وشيء من معانيها التي وردت في إرث النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاولة الجمع بين هذه المعاني السابقة والمعاني اللغوية للكلمة، فكانت خلاصات الدراسة كما يلي:

- لكلمة **أف** في اللغة العربية معان عدة، وردت على سبيل الاستقذار، والضجر، والقلة من الشيء، والجبن، وللدلالة على حضور الوقت، ولكل مفهوم شواهده وقد ذكرتها لتعزيز المعنى وتقريره في النفوس.
- لكلمة **أف** لغات كثيرة، فاختلف في عدها حتى أوصلها بعضهم إلى الأربعين والخمسين وجها.
- أف عند النحاة هي ما يعرب اسم فعل كهيهات، وصه، وتف، واللهم وغير ذلك.
- وردت كلمة **أف** في القرآن الكريم في آيات ثلاث: في سورة الإسراء، وسورة الأنبياء، وسورة الأحقاف، والمفسرون اختلفوا في تفسيرها وفق ما جاءت به، إلا أنها في مجملها تشير معانى الاستقذار من الشيء والتقبيح لفعل التأفف.

1- فتح القدير، للشوكاني، الجزء3، الصفحة 262.

2- الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة1، سنة 1986م، الجزء3، الصفحة 353.

3- المعلم بفوائد مسلم، للمازري، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، الجزء 3، الصفحة 220/ الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان، الطبعة2، الجزء1، الصفحة 49.

4- هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير ، ولد 544هـ، وتوفي سنة هـ 606 هـ ، محدث لغوي عربي.

5- النهاية في غريب الحديث والآثر، لابن الأثير، المكتبة العلمية بيروت، طبعة 1979م، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، الجزء 1، الصفحة 55

6- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية، كتاب الطهارة ، الجزء الأول ، الصحفة 80.

7- الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، الجزء 1، الصفحة 49.

– بعض أوجه اللغوية لكلمة **أف**، قرئت بها بعض القراءات القرآنية المتواترة خاصة السبع منها.

– المعاني اللغوية التي تشير إليها **أف** لها بعض الشواهد من القرآن الكريم كالاستقذار مثلا، وفي السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام نجد شواهد عدة للمعاني الأخرى.

وكل ما ذكر كان على سبيل الإيجاز من غير خلل ولم يكن على وجه الاسهاب الذي يصاحبه الملل.

ثبت المصادر والمراجـــع:

– الإتباع والمزاوجة، أحمد بن فاس القزويني، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة بمصر.

– الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل العسقلاني، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، سنة 1415هـ.

– الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، سنة 2002م.

– إعراب القرآن الكريم، أحمد الدعاس وأحمد حميدان وإسماعيل القاسم، دار المنير بدمشق، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ.

– إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض السبتي، تحقيق الدكتور يحي إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، الطبعة الأولى.

– أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك– محمد الكندهلوي – دار القلم الطبعة الأولى، سنة 2003م.

– بحر العلوم، للسمرقندي، دار الكتب العلمية، سنة النشر:1993 ، الطبعة الأولى.

– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس بن عجيبة، المحقق :أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبعة دار القاهرة، سنة 1419 هـ.

– البحر المحيط في أصول الفقه ، للإمام الزركشي ، دار الكتبي ، سنة النشر 1994م ، الطبعة الأولى.

– البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، المحقق: عادل أحمد وعلي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة م1993.

– تاج العروس، للمرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، سنة 1986م.

– التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، سنة 1984م.

– تفسير الإمام الفخر الرازي ، دار الفكر للطباعة ، الطبعة الأولى 1981م.

– تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة، طبعة 2009م/ وطبعة: دار الكتاب العربي – ببيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1407هـ.

– التكملة فيما يلحن فيه العامة، أَبُو مَنْصُوْرٍ ابن أبي طاهر، مخطوط

– تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، للسيوطي، دار الكتب العلمية.

– تهذيب اللغة، لمحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى.

– ديوان ابن نباتة، جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان، بدون طبعة.

– ديوان أبي حية النميري، تحقيق يحي الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، سنة 1975م.

– الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، رقم الطبعة الأولى.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، طبعة الأولى، سنة 1994م.

– جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة1، سنة 1987م.

– حرز الأماني ووجه التّهاني في القراءات السبع، للإمام الشاطبي، تصحيح ومراجعة: محمد الزغبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الخامسة،

سنة 2010م.
– الرد الوافر، لابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى، سنة 1393هـ.
– رسائل الثعالبي، مكتبة دار البيان ببغداد.
– روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للإمام الألوسي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ.
– زاد المسير، لابن الجوزي، الناشر: دار ابن حزم المكتب الإسلامي، سنة النشر2002.
– سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة 2006م.
–شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، توزيع دار السلام، سنة النشر: 1416هـ الموافق 1996.
– الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين.
– صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
– العين، للخليل الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
– الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان، الطبعة الثانية.
– فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق القنوجي البخاري، دار الكتب العلمية.
– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، المحقق: يوسف الغوش، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر2007م، الطبعة الرابعة/ وطبعة دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: 1414هـ.
– الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة1، سنة 1986م.
– فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة 2002م.
– القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت– لبنان، الطبعة الثامنة سنة 1426هـ.
– لسان العرب، لأبي الفضل بن منظور، دار صادر سنة النشر 2003.
–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، الناشر دار ابن حزم.
– مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ببيروت. الطبعة 2، سنة 1986م.
–المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة 1، سنة 1418هـ.
– معالم التنزيل، للإمام البغوي، المحقق محمد عبد الله النمر، سنة النشر1989م.
– معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.
– المعلم بفوائد مسلم، للمازري، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار التونسية للنشر، الطبعة الثانية.
– المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، المحقق صفوان الداودي، دار القلم دمشق، الطبعة1، سنة 1412هـ.
– مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، الناشر: دار الفكر، الطبعة 01،سنة النشر: 1981م.
– مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس، دار الجيل، سنة النشر 1999م.
– النهاية في غريب الحديث والآثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية بيروت، طبعة 1979م.
– الوافي في شرح الشاطبية، لعبدالفتاح عبدالغني القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الرابعة، سنة 1992م.